

المجلد: 04 / العدد: 03 ديسمبر (2020)، ص 12 - 24

الاستدلال التداولي آلية بديلة لمقاربة دلالة النص السردي التخيلي -
دراسة نظرية.

Pragmatics inference is an alternative mechanism for approaching the significance of fictional narrative text - Theoretical study

د. توفيق السيتي
stititaoufik@gmail.com
جامعة شعيب الدكالي - مدينة الجديدة
(المغرب).

تاريخ النشر: 2020/12/02

تاريخ القبول: 2020/06/19

تاريخ الاستلام: 2020/02/28

ملخص:

تطرح قضية تعدد المناهج والمقاربات الأدبية، واختلاف منطلقاتها وتباين رؤاها، مجموعة من التساؤلات المرتبطة بأدائها العام، ويمدى قدرتها على المعالجة الشمولية لدلالة النص الأدبي، والإحاطة بمستوياته المتعددة (الصرفية، والتركيبة، والدلالية)، وأبعاده المختلفة (اللسانية الإشارية، والتداولية الإيحائية).

من هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى تقديم نبذة عن المنهج الاستدلالي التداولي الذي بات يُشكل مسلكا ناجعا لمقاربة النصوص السردية التخيلية في شموليتها، ومنفذا للإحاطة بدلالاتها الضمنية ومضامينها الإيحائية انطلاقا من الإشارات الصريحة المثبوتة بين ثنايا النص.

وقد أبانت نتائج الأبحاث التجريبية لاعتماد هذا المنهج في قراءة النصوص الأدبية وتحليلها عن نجاعة كبيرة، حيث أسهمت السيرورة الاستدلالية في بناء تمثيلات ذهنية منسجمة ومتناسكة للوضيعات والأفكار المثارة في النص المقروء، كما أسعفت في تقديم تأويلات موضوعية مُقيدة بمؤشرات نصية داخلية.

كلمات مفتاحية: السرد التخيلي؛ الدلالة؛ التداولية؛ الاستدلال؛ الاستدلال التداولي.

Abstract:

Abstract The issue of the multiplicity of methods and literary approaches, as well as the different starting points and visions, raises a

set of questions related to its general performance, and its ability to comprehensively address the significance of the literary text, and its various levels (morphological, syntactic, and semantic), and its various dimensions (indicative linguistic, suggestive circulation) .

From this standpoint, this research seeks to provide an overview of the inferential deliberative approach, which has become a viable course for approaching fictional narrative texts in their comprehensiveness, and as an eyelet to capture their implicit significance and their suggestive implications by capturing the explicit signs embedded within the text.

The results of the experimental research that adopted this approach in reading literary texts and analyzing them showed great efficiency, in that the inferential process contributed to building consistent and coherent mental representations of poses and ideas raised in the read text, the results also contributed in providing objective interpretations restricted by internal textual indicators.

key words: Fictional narration; significance; Pragmatics; Inference; Pragmatics inference.

مقدمة:

تطرح قضية تعدد المناهج والمقاربات الأدبية، واختلاف منطلقاتها وتباين رؤاها، مجموعة من التساؤلات المرتبطة بآدائها العام، وبمدى قدرتها على المعالجة الشمولية للنص الأدبي، والإحاطة بمستوياته المتعددة (الصرفية، والتركيبية، والدلالية)، وأبعاده المختلفة (اللسانية الإشارية، والتداولية الإيحائية).

والواقع، أن المتأمل في حقيقة هذه المقاربات، يجدها كصحراء متحركة لا تكاد تستقر على حال، فرياح الدراسات المتأرجحة تُقلِّب النتائج والمخرجات رأساً على عقب بحسب اختلاف زاوية نظرها ومركز بؤرتها، وتعدد خلفياتها وأدوات اشتغالها. حيث نجد أن مجموعة منها (الدراسات) قد جعلت من المؤلف/ المرسل بحمولاته المختلفة؛ النفسية والاجتماعية والتاريخية مركز اهتمامها، باعتباره منشئ النص، ومنطلق العملية الإبداعية، فاعتنت به وبدوافعه النفسية وعقده المرضية، كما اهتمت بظروف نشأته وأوضاعه الاجتماعية وبيئته التاريخية. وقد عمّر هذا التصور عقوداً طويلة قبل أن يتوارى "المؤلف" عن الأنظار ويُعلنَ عن موته. في حين اهتمت أبحاث أخرى بالنص/ الرسالة باعتباره حلقة الوصل الرئيسة بين المبدع والمتلقي في العملية التواصلية الأدبية، وقطب الرحي فيها، فدرسته لذاته بمعزل عن كل المؤثرات الخارجية، وبحث بين ثناياه عن مؤشرات أدبيته ومقومات شعريته. في مقابل ذلك انتقلت دراسات ثالثة إلى التركيز على القارئ/ المتلقي، بوصفه محور العملية الأدبية، والمستهدف الأول بكل نص، فاهتمت بوظائفه وأدواره، وحددت مختلف أصنافه وأطيافه. لكن، رغم النجاحات المسجلة، والتراكمات النظرية والمفاهيمية الهائلة التي حققتها كل مقاربة على حدة، فإن أيّاً منها لم يستطع الإحاطة

مستويات النص المتعددة (الصرفية، والتركيبة، والدلالية)، وأبعاده المختلفة (اللسانية الإشارية، والتداولية الإيحائية)، وخصائصه المتنوعة (التخييلية، الانزياحية، الرمزية...). ليظل السؤال الإشكالي المتعلق بمسألة المنهج، ذا راهنية مُلِحَّة ومشروعية أكيدة. ومن ثم باتت الحاجة ماسة إلى مقارنة أكثر فاعلية، تُعيد النظر في بنيات النص ودلالته وفق رؤية شمولية ومنفتحة.

من هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى تقديم دراسة نظرية وافية للمنهج الاستدلالي التداولي الذي أضحي مسلكا ناجعا لمقاربة النصوص السردية التخيلية في شموليتها، ومنفذا للإحاطة بدلالاتها الضمنية ومضامينها الإيحائية انطلاقا من الإشارات الصريحة المبثوثة بين ثنايا النص.

وقبل الخوض في تفاصيل المقاربة التداولية الاستدلالية، والتوسّع في تحديد مفهوم الاستدلال بمعناه التداولي، وتبيان أنواعه وآليات اشتغاله وسياق نشأته وسيرورة تطوره، لا بد من إلقاء نظرة موجزة عن المنهج التداولي عينه الذي يُعتبر الأرضية الخصبة التي استنبَت فيها الاستدلال ليتحوّل من مجال المنطق إلى آلية إجرائية تساهم في فهم النصوص وسر أغوارها.

1. المنهج التداولي، من التداوليات اللسانية إلى التداوليات المعرفية:

ظل هاجس البحث عن منهج متكامل يُقارب النص الأدبي في شموليته يُراود النقاد والباحثين، لاسيما بعد مغالاة المناهج السياقية التقليدية في اعتبار المعطيات الخارجية، وتقوقع المناهج النصية داخل بنيتها المغلقة، وقد فتحت المقاربة الباختيوية المنفتحة، التي نظرت للغة باعتبارها نشاطا تتحكم فيه مجموعة من العناصر اللغوية وغير اللغوية، آفاقا جديدة للبحث. وفي هذا السياق تأتي إسهامات الفيلسوف الأمريكي شارل موريس Charles Morris الذي يعتبر أول من وضع أسس المقاربة التداولية، حيث حدد وميز بين الاختصاصات الثلاث التي تستأثر بدراسة اللغة (1)؛ المتمثلة في: علم التركيب/ النحو، الذي يقتصر على دراسة العلاقات التركيبية الرابطة بين العلامات؛ وعلم الدلالة، الذي يهتم بتحديد وتعيين المعنى المستشف من العلامات وما تدل عليه؛ والتداولية التي تتجاوز حدود المستويين السابقين لتتجهم بالعلاقة بين العلامات ومستعملها. لكن موريس حصر مجال اهتمامها في دراسة ضمائر التكلم والخطاب، وظرفي الزمان والمكان (الآن، هنا)، والمعطيات المرتبطة بالمقام التواصل.

وقد عرف المسار التطوري للتداولية منذ وضع شارل موريس اللبنات الأولى لقيام هذا العلم، محطات متعددة يمكن إجمالها في أربعة اتجاهات كبرى (2):

- التداولية الرادكالية الشكلانية، التي امتدت من 1930 إلى 1940، ويمثلها بورس وشارل موريس.

- التداولية الفلسفية القائمة على فلسفة اللغة، وقد امتدت من 1940 إلى 1980، ويعتبر أوستين، وسورل، وغرايس أبرز روادها.

- التداولية المعرفية وامتدت من 1980 إلى 1990، ويمثلها كل من ويلسون وسبيربر.
- التداولية المندمجة، التي توازي فترة امتداد التداولية المعرفية، ويمثلها أوسويلد دوكرو.
من خلال ما سبق، يمكن القول بأن المنهج التداولي، كما تم تطويره وتجويده عبر مساره التطوري الطويل، يستوفي إلى حد كبير شروط معالجة النصوص والخطابات على اختلاف أنواعها (عما فيها النصوص الأدبية التخيلية) لأنه يتجاوز الرؤية الترميزية الخالصة للغة، ويستعمل العمليات الاستدلالية لتوليد الاستلزامات الخطابية وتحصيل الدلالات الضمنية انطلاقاً من مؤشرات نصية (ترتبط بالنص).

2. الاستدلال التداولي مقارنة بديلة لمقاربة النص السردي التخيلي:

إذا كانت جل المناهج، التقليدية منها والحديثة، قد أخفقت في مقاربة دلالة النص الأدبي في شموليتها جرّاء تركيزها على عنصر واحد من عناصره المركبة والمتكاملة، واقتصارها، في الغالب الأعم، على دراسة المظاهر الترميزية للغة متجاهلة أبعادها التواصلية الضمنية والإيحائية. فإن اللغة، وإن كانت نظاماً ترميزياً مستقلاً (3)، لا يقتصر إنتاجها وتأويلها على عملية الترميز وفك الرموز فحسب، وإنما يقوم كذلك على عمليات استدلالية يتم خلالها توظيف مختلف القدرات والمعارف البشرية (4). من هذا المنطلق شكلت المقاربة التداولية الاستدلالية، التي تعتبر امتداداً واستكمالاً لجهود المناهج السابقة عموماً، والمنهج البنيوي الشكلي على وجه الخصوص، (شكلت) بديلاً مُفترضاً يُجيب على العديد من التساؤلات التي كان يطرحها الباحثون اللسانيون وعلماء اللغة حول الدلالة العامة للأعمال الأدبية التخيلية خاصة، وللغة التواصل اليومي بشكل عام، لاسيما عندما يتم لجوء المتخاطبين إلى التلميح باعتباره أداة بليغة شائعة الاستعمال. فاهتمت بكل ما يرتبط بالتواصل اللغوي بدءاً بالمتكلم/ المرسل، مروراً بظروف وسياق الإرسال والعناصر الفاعلة في الإبلاغ، وصولاً إلى السامع/ المتلقي وبيان دوره في صياغة الخطاب وإنتاجه. فأصبحت بذلك جديرة بحيازة لقب "وريثة البلاغة" (5) كما ذهب إلى ذلك فرانسوا راستيه.

2. 1 - الاستدلال بين المنطق الصوري والتوظيف التداولي:

لا يقتصر اعتماد الاستدلال في التفكير الإنساني على العلماء والمناطقة والمثقفين فحسب، بل يستعمله العامة والخاصة على حد سواء، بغض النظر عن اختلاف آفاقهم المعرفية ومستوياتهم الفكرية والعلمية، حيث يلجؤون كلما استعصى عليهم حل إشكال من إشكالات الحياة اليومية إلى تحكيم قواعد التفكير السليم دون سابق دراية بقوانين علم المنطق، فيوظفون ويستثمرون ما توافر لديهم من مُعطيات معروفة للوصول إلى المعلومات المجهولة، أو للانتقال من أحكام فرضت صحتها بالممارسة والتجريب إلى أحكام أخرى تلزم وترتب عنها. فلو علم أحدهم، مثلاً، أن الكهرباء مقطوعة في الحي بأكمله لاستنتج أنها مقطوعة في بيته أيضاً، لأن ما يصدق على الكل يصدق على الجزء الذي ينضوي تحته. ولو رأى خيمة نُصبت في الحي أمام دار أحد الجيران، وجوارها تقف سيارة ممون حفلات وأعضاء فرقة موسيقية شعبية، لاستنتج عن طريق الاستدلال

أن الأمر يتعلق بفرح، بخلاف لو رأى يجوار الخيمة نفسها سيارة إسعاف تحفها أجواء الحزن والأسى. ويُعرف هذا المنطق في التفكير باسم "الاستدلال التداولي" الذي بات يُشكل آلية هامة يُمكن من خلالها إنتاج واستنتاج معلومات جديدة انطلاقاً من المعلومات الصريحة المتاحة.

ومن منطلق الأهمية القصوى التي باتت تتبوؤها الاستدلالات باعتبارها "مكوناً ضرورياً من مكونات الأنشطة المعرفية، شأنها في ذلك شأن التلقي، وحل المشكل، وفهم النص أو التواصل اللفظي" (6)، فقد أصبح الاستدلال يتصدر الدراسات الأدبية عموماً، والتربوية على وجه الخصوص، في مجموعة من الدول الغربية، حيث أدت الأبحاث الميدانية التجريبية إلى نتائج علمية دقيقة، فتحت آفاقاً واعدة لاعتماده في المؤسسات التربوية التعليمية كمقاربة موضوعية قميّة بدعم قدرات الفهم القرائي، وفك سنن النصوص، وتجاوز دلالاتها السطحية والنفاذ إلى معانيها الضمنية المُشفرة. ولم تقتصر تلك الدراسات على قياس كفاءة الاستدلال لدى اليافعين والبالغين الذين طوروا سلفاً كفايتهم القرائية فحسب (7)، بل تجاوزتها لتشمل دراسة تطور مهارات إنتاج بعض أنماط الاستدلال أثناء التواصل الشفهي لدى الأطفال الصغار أيضاً (8).

2. 2 - مفهوم الاستدلال في اللغة والاصطلاح:

الاستدلال لغة كما جاء في معجم المعاني (9) مصدر فعل استدل يستدل، استدليل واستدل، استدلالاً، فهو مُستدل، والمفعول مُستدل به. واستدل بالشيء على الشيء: اتخذ دليلاً عليه، كقولنا استدل بالعلامات على الطريق: أي اتخذها دليلاً. واستدل على الشيء: تعرّف عليه، وتوصل إلى حقيقته، أو طلب أن يدلّ عليه. والاستدلال في الفلسفة والتصوف: استنتاج قضية من قضية أخرى أو قضايا أخرى، وانتقال الذهن من أمرٍ معلوم إلى أمرٍ مجهول، وفي الفقه: ذكر دليل ليس بنص ولا إجماع ولا قياس شرعيّ.

أما في المنطق فالمقصود به الانتقال من مقدمة أو أكثر تُسلم بصحتها إلى نتيجة تترتب وتلزم عنها، على غرار المقولة الشهيرة: كل إنسان فان، سقراط إنسان، إذن سقراط فان. وهو استدلال صوري ينطلق من العام إلى الخاص، وينبني بشكل حصري على التحليل الاستنباطي والقياس، ويتشكل من مكونات ثلاث:

أ- مقدمة أو أكثر.

ب- نتيجة.

ج - علاقة منطقية تربط بين المقدمة والنتيجة.

وتكون نتيجته ضرورية ولا لبس فيها إذا تم اعتبار المقدمات صحيحة. علاوة على أنه لا يضيف جديداً إلى المحتوى الحرفي.

والاستدلال المنطقي نوعان:

- استدلال مباشر: ما كانت عملية الاستدلال فيه محصورة بين قضيتين اثنتين، نحو:
كل أشجار البستان مثمرة = مقدمة
بعض أشجار البستان مثمرة = نتيجة
- استدلال غير مباشر وتستنبط فيه النتيجة من قضيتين أو أكثر، نحو:
كل أشجار البستان مثمرة = مقدمة أولى
يتضمن البستان أشجار البرتقال = مقدمة ثانية
أشجار البرتقال مثمرة = نتيجة

2. 3 - الاستدلال التداولي، المفهوم وسياق النشأة والتطور:

يدخل استعمال "الاستدلال"، بالمعنى التداولي، في سياق حركة معرفية وتربوية واسعة ظهرت بأوروبا أواخر ستينيات القرن الماضي، عندما اهتمت مجموعة من الأطاريح الجامعية والأبحاث الميدانية بدراسة الدلالة التداولية للنصوص القرائية والأعمال الأدبية، وأثبتت نتائجها أنه "ليس من البديهي أن تُقدّم الأبحاث المؤسسة على الفرضيات المنطقية اللسانية، المُعقّدة غالباً، توضيحاً على مستوى الفهم النفسي للاستدلالات" (10)، وأن "الأشخاص لا يستعملون دائماً المنطق الصوري في الأنشطة المعرفية المرتبطة بالحياة اليومية" (11)، بل يلجؤون في الكثير من الحالات إلى اعتماد الاستدلالات التداولية بديلاً مكافئاً للاستدلالات المنطقية اللسانية، لا سيما عندما يتعلق الأمر بقراءة نصوص أدبية لها طبيعتها الإيحائية الخاصة، التي يفترض فهمها وفك شفراتها تجاوز الدلالات الحرفية للكلمات؛ فالأسماء والأفعال والصفات والنعوت قد تُستعمل بشكل مجازي، يجعل التأويل المنطقي اللساني الصرف عاجزاً عن بلوغ المعنى المقصود، بل إن الاستعمال المجازي لكلمة واحدة قد يُغيّر بشكل تام المعنى العام للتركيب برمته، ومن ثم فإن "تأويل المجاز ينبغي فهمه باعتباره مجموعة من الاستدلالات التي تتحقق من خلال اعتماد المكونات/العناصر التركيبية، المعجمية، النحوية، النصية، التلفظية، وغير اللسانية" (12).

علاوة على ذلك فإنه "لا ينبغي على القارئ فقط استخراج دلالة الكلمات التي يقرأها، ولكن عليه أيضاً أن يبيّن تمثيلاً ذهنياً للنص بمساهمة مهارات لغوية مشتركة للفهم الشفهي والمكتوب. وترتبط مهارات الفهم أثناء القراءة بمجموعة من المهارات اللغوية من بينها بالطبع مهارات القيام بالاستدلالات" (13).

وإلى جانب الطبيعة الإيحائية التي تطبع العمل الأدبي المكتوب وكذا السنن البالغ التعقيد، فإن غياب المعطيات السياقية للنص يُفاقم بدوره محدودية أداء الاستدلالات المنطقية اللسانية، ويؤكد عجزها عن بلوغ الدلالة العميقة للنص، ويُضاعف بالمقابل فرص اعتماد الاستدلالات التداولية. وبالتالي فإن دور الاستدلال "يكون أكثر أهمية في فهم المكتوب، على اعتبار أن الأخير يكون بشكل عام أكثر انعزالاً عن السياق من الخطاب الشفهي. لذلك يضطر القارئ في

المكتوب إلى القيام باستدلالات أكثر لمواجهة نقص المؤشرات السياقية الناجمة عن الغياب الفعلي لمؤلف النص“(14).

وبذلك، ينتقل مصطلح الاستدلال من المفهوم المنطقي الصوري الصّرف المبني على القياس والتحليل الاستنباطي بشكل حصري، إلى مفهوم تداولي مُنتَـح يُحيل على كل معلومة يُضيفها القارئ/ المتلقي، انطلاقاً من ذخيرته ومعارفه حول العالم، المرتبطة أساساً بالسياق اللغوي والدلالي للوضعية الخاصة الموصوفة بواسطة المُتلفّظ/ النص، وذلك بهدف الفهم الجيد وتجاوز الدلالة الحرفية للمفوز الانطلاق. فالاستدلال بهذا المعنى ”هو كل معلومة غير صريحة في الخطاب الشفهي أو المكتوب، يتم استحضارها خلال عملية فهم رسالة ما“(15)، حيث ”يُبنى ذهنياً من قبل القارئ بهدف الفهم الجيد للنص“(16)، وهو الأمر الذي ”يُحتم على المخاطب أو القارئ تجاوز الفهم الحرفي، أي أن يُقدم معلومة إضافية للمفوز الانطلاق“(17). ومن ثم يُمكن تشبيه عملية إنتاج أو توليد الاستدلال "inferer" بعملية ملء بياضات وفراغات النص كما تحدث عن ذلك أمبرتو إيكو في كتابه "القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية"، وكذا عملية تنشيط الترابطات الجمالية كما نص على ذلك فولفغانغ إيزر في مؤلفه "فعل القراءة". وإذا كان الاستدلال المنطقي يقوم على مقدمة أو أكثر لاستنباط نتيجة/ نتائج محددة ولا لبس فيها دون إضافة أي جديد إلى المحتوى الحرفي للقضية، فإن الاستدلال التداولي ينطلق من مُعطيات صريحة متاحة في النص، لبلوغ معلومات ضمنية مُفترضة يتم استقاؤها من المؤشرات اللسانية النصية والذاكرة الدلالية ومعرفة القارئ الموسوعية حول العالم في ارتباط بنموذج المقام، فتتجاوز بذلك الدلالة الحرفية باعتبار أن كل معلومة صريحة مُتضمنة في النص قد تُشكل أصل استدلالات متعددة. وهي لا تكون بالضرورة صحيحة بالمعنى المنطقي للكلمة: لأنها ليست نتيجة صورية، بل هي مجرد تأويل مقبول وقابل للشك، يتأسس على الاستدلال الاستقرائي ويستجيب لقانون الاحتمال.

2. 4 - وظائف الاستدلال ومستويات التمثل الذهني:

أثبتت نتائج الدراسات والأبحاث الميدانية الدقيقة التي شملت مجموعات كبيرة من طلبة الجامعات وتلامذة المدارس، أن الهدف العام المتوخى من القيام بالاستدلالات هو بناء تمثلات ذهنية منسجمة ومتماسكة للوضيعات والأفكار المثارة في النص المقروء، ودعم وتعزید كفايات الفهم والتواصل، وأجمعت على أن هذا البناء (الذهني) يتم وفق ثلاث مستويات (18) تتغير بتغيرها السيروية الاستدلالية والوظائف المنوطة بها، وهي على النحو التالي:

- المستوى المتعلق بالخصائص والمميزات السطحية للنص، وتكمن وظيفة الاستدلالات بهذا المستوى في ضمان انسجام النص محلياً من خلال الربط بين مختلف الوحدات النصية (كلمات، قضايا، جمل، فقرات).

- المستوى القضوي المتعلق بالقضايا الصغرى والقضايا الكبرى للنص، وتقوم فيه الاستدلالات بالربط بين القضايا الدلالية غير المترابطة على مستوى قاعدة النص.

- مستوى النموذج الذهني الذي تُحيل إليه إثارة وضعية موصوفة في النص، وتمثل وظيفة الاستدلالات المتعلقة به في إغناء أو تكملة التمثيل القضوي، ومن ثم تحقيق الانسجام الكلي من خلال توجيه القارئ إلى استحضار تراتبية الأهداف والأهداف الجزئية الكامنة في أنشطة الشخصيات الموصوفة في الحكايات.

ومن ثم يمكن القول إجمالاً بأن إنتاج الاستدلالات أمر ضروري لبناء مختلف مستويات التمثيل الذهني التي تضمن الانسجام المحلي (الموضعي) والكلي للنص من خلال الربط بين وحداته، وكذا تكملة التمثيل القضوي عبر الربط بين القضايا الدلالية غير المترابطة على المستوى قاعدة النص.

2. 5 - كيف نقوم بالاستدلالات ؟

بخصوص الكيفية التي تُنتج بها الاستدلالات والميكانيزمات التي تُسهّم فيها تُميز بين موقفين متعارضتين، يختلفان من حيث الأهداف والمنطلقات:

الموقف التبسيطي La position minimaliste

والموقف البنائي La position constructiviste.

أ - الموقف التبسيطي:

وهو موقف محدود الانتشار لا يتبناه سوى ماكونوراتكليف، ويعتبر أن القراء ينتجون الاستدلالات الضرورية لضمان الانسجام المحلي بطريقة أوتوماتيكية، وهي استدلالات تقوم على معلومات يمكن الوصول إليها بسهولة وسرعة، وتكون (المعلومات) في الغالب الأعم مألوفة ومأخوذة من المعارف العامة ومن النص قيد القراءة. وتتأثر عملية إنتاج وتفعيل الاستدلالات حسب دعاء هذا الموقف بعوامل متعددة من بينها: التبسيط، ودرجة نمطية السياق. فاحتمال الإنتاج الاستدلالي يرتبط بشكل وثيق بدرجة التبسيط الخاص بهذا الاستدلال، حيث يكون الاحتمال ضعيفا إذا كان التفعيل ضعيفا أو منعما، ومتوسطا إذا كان التفعيل متوسطا، وقويا إذا كان التفعيل قويا. وكذلك الشأن بالنسبة للطابع النمطي للسياق؛ فإذا أشرنا في حكاية ما، على سبيل المثال، إلى "الفواكه التي نقوم بعصرها في وجبة الإفطار للحصول على عصير الفواكه"، فإن فكر القارئ سيستحضر "البرتقال" لا محالة باعتباره "نموذجا نمطيا بالنسبة للعبارة"، بدل أن يفكر في "الإجاص" أو "الأناناس" باعتباره نموذجا أقل نمطية. كما تتأثر العملية بعوامل أخرى مثل الطابع التنبؤي للنص، والمؤشرات التي تسمح بالوصول إلى الكل الاستدلالي، والعلاقة الدلالية الترابطية بين مختلف كلمات النص والاستدلال ككل.

أما الاستدلالات الكلية أو استدلالات الإنجاز فلا يتم إنتاجها، حسب ماكونوراتكليف، إلا في الحالة التي ينخرط فيها القارئ في نشاط القراءة، واضعا نصب عينيه أهدافا محددة؛ مثل

الإجابة عن سؤال، أو حل مسألة، أو تأويل استعارة. كما يعترضان على الفكرة التي مفادها أن الأشخاص يبنون نموذجاً ذهنياً للوضعية خلال قراءة النصوص، لأن ذلك، إن صحَّ، سيفرض على القراء تفعيل أغلب الاستدلالات ذات الصلة بالنموذج الذهني بشكل آلي ومضبوط. والحال أن هذا الافتراض لم يتم أبداً طرحه من قبل الباحثين الذين يؤيدون النظرية البنائية.

ب - الموقف البنائي:

موقف تتبناه الأغلبية الساحقة من الباحثين (19). وقد قام رواده ودعاته بانتقاد الأسس والمنطلقات النظرية والتجريبية التي قام عليها الموقف التبسيطي بشدة. وحاولوا من خلال أبحاثهم المتعددة إثبات ضعف حجج ماکونوراتكليف، وعدم نجاعة عُدَّهما التجريبية، وبينوا أن القراء يهدفون من خلال كل قراءة نشيطة إلى ضمان الانسجام على المستويين المحلي (قاعدة النص)، والكلي (النموذج الذهني) على حد سواء. كما أنهم يُنتجون استدلالات الربط حتى في الحالات التي تكون فيها قاعدة النص منسجمة تماماً، أو تكون القضيتان الواجب ربطهما متباعدتين.

وتوضح نظرية النماذج الذهنية التي بلورها جونسون ليرد (1983) بطريقة مثالية موقف البنائية من قضية وصف فهم اللغة، والاستدلال والإدراك. حيث تقوم على فرضية مفادها أن إثارة نموذج معين من قبل القارئ أثناء قراءة النص يستدعي تفعيل جميع المعارف المرتبطة بهذا النموذج. وبذلك سوف يُستدرج القارئ إلى القيام باستدلالات ترتبط بمجموع المعارف لاسيما في الحالات التي لا يتم فيها الإشارة إلى بعض المعطيات المرتبطة بأحداث أو وضعيات مثارة في النص. ويرى جونسون أن التمثل الذهني الذي يتم بناؤه خلال قراءة النص يتضمن إلى جانب الشكل الكتابي والقضوي، (يتضمن) النموذج الذهني الذي تمت إثارته من قبل المعلومات النصية والوضعية الموصوفة ولا يقتصر على لائحة القضايا والقضايا الكبرى التي تصفه.

ومن ثم فإن دعاء الموقف البنائي يرون أن إنتاج الاستدلالات لا يتم بشكل آلي وأوتوماتيكي كما يدعي رائدا الموقف التبسيطي ماکونوراتكليف، بل يتم بشكل استراتيجي مضبوط ومنظم عبر ربط مجموع النتائج بمفهوم النموذج الذهني.

2. 6 - أنواع الاستدلالات:

مكننت نتائج الأبحاث التجريبية المتعددة من التعرف على أنواع مختلفة للاستدلالات يمكن إدراجها ضمن قسمين وظيفيين كبيرين:

– الاستدلالات الاسترجاعية (backward) rétroactives

– الاستدلالات الاستباقية (forward) proactives

أ – الاستدلالات الاسترجاعية:

هي استدلالات ضرورية لفهم النص، وتلعب دورا هاما في ضمان انسجام التمثل الذهني، سواء محليا بين الوحدات النصية المختلفة (قضايا، جمل، فقرات) أو على مستوى المعارف التي تُحيل عليها النصوص. وتضم مجموعة من الأصناف الفرعية من بينها:

- الاستدلالات التي تربط ملفوظين، أو عبارتين تفرق بينهما مسافة قصيرة أو طويلة.

- الاستدلالات السببية les inferences causales

- الاستدلالات التكراري anaphoriques les inferences

- الاستدلالات التي توجه القارئ إلى استحضار تراتبية الأهداف والأهداف الجزئية المضمنة في أنشطة الشخصيات الموصوفة في الحكايات.

- الاستدلالات المرتبطة بالمظاهر اللسانية والمظاهر السيكو - لسانية.

الاستدلالات السببية: تُعتبر عملية فهم النص أو الحكاية بمثابة سيرورة من نوع حل المشكل، وهو الأمر الذي يتطلب القيام بتفعيل تسلسل سبي يربط بداية النص/ العقدة، بنهايته/ الحل؛ حيث ينبغي على بطل الحكاية -من أجل بلوغ هدف محدد- أن يقوم بمجموعة من الأفعال التي تكون في الغالب وسائل لإدراك أهداف جزئية وسيطة، وضرورية لبلوغ الهدف النهائي. ويكون على القارئ أن يبحث عن الروابط السببية بين مختلف الأهداف، وكذا الروابط بين الأهداف الجزئية والهدف النهائي. وإذا لم تكن هذه العلاقات السببية صريحة في النص، فإن القارئ يلجأ إلى معارفه حول العالم عن طريق الاستدلال للعثور على الروابط الناقصة.

الاستدلالات التكرارية: تُعتبر معالجة الإحالة حسب مجموعة من المؤلفين مثالا نموذجيا للاستدلال الأوتوماتيكي. إذ بالنظر إلى التعريف السابق لمفهوم الاستدلال، فإن قيام القارئ بمعالجة الإحالة وربطه للمحيل بسابقه الذي يُحيل إليه يدخل في خانة الاستدلالات، حيث يتوجب عليه (القارئ) الربط بينهما بالاعتماد على معارفه التركيبية والدلالية والتداولية التي لا تكون حاضرة بوضوح في النص دائما.

وقد ركّز بعض المهتمين في أبحاثهم على مركزية المحال إليه/ المرجع، واعتبروا أنه كلما كان مفهوما مركزيا في النص، كانت المعالجة الإحالية أكثر سرعة مما إذا كان مفهوما فرعيا. وقد اهتمت مجموعة أخرى من الباحثين بالمسافة الفاصلة بين المحيل والمحال إليه، مُعتبرين أن تعيين المحيل يتم بطريقة أسرع خلال لحظة المعالجة، إذا وُضع (المحيل) قريبا نسبيا من المحيل إليه. وقد أثبتت نتائج أبحاث فئة ثالثة أن الأشخاص المسنين هم في حاجة إلى وقت أطول لمعالجة الإحالة، فالمدّة التي استغرقتها إجاباتهم أثناء اختبارات التعرف (ربط الإحالة بالمحال إليه) كانت أطول مقارنة بإجابات الشباب.

الاستدلالات المرتبطة بالمظاهر اللسانية والسيكو - لسانية: إذا كانت غاية القارئ تكمن في بناء تمثّل ذهني منسجم للنص المقروء، فمن المنطقي التركيز على العوامل التي لها تأثير على "مبدأ

الاستمرارية النصية". وفي مقدمة هذه العوامل، يجب الأخذ بعين الاعتبار الآليات اللسانية الإحالية. ذلك أن ارتباط قضية بقضية سابقة من خلال اشتراكهما في الحجة، أو حتى في حالة عدم ارتباطهما، يقتضي استحضار خطاطة أو سيناريو النص. وتقود دلالات عبارات الربط المختلفة القارئ إلى انتظارات/ توقعات معينة تُسهّل إنتاج الاستدلالات المناسبة. وفي حالة عدم اشتراك قضيتين مضمنتين في النص في الحجج، ينبغي عندئذ إنتاج استدلال يربط بين القضيتين.

وقد أجمعت الأبحاث المتعددة التي درست المظاهر اللسانية والنفس - لسانية للإحالة (20) على أن التحليل الإحالي يتأثر بتفاعل ثلاث عوامل، هي:

- شكل الإحالة (مبهم أو غير مبهم).
- بؤرة الخطاب.
- الاستدلال المستنبط من دلالة الفعل الذي ترتبط به الإحالة.

ب - الاستدلالات الاستباقية:

هي استدلالات غير ضرورية لفهم النص، لذلك يُنكر جلّ الباحثين إنتاجها خلال القراءة، ومن يعتقد منهم بإمكانية إنتاجها يُقرُّ بندرة ذلك، ومحدودية وحساسية التقنيات المعتمدة، وصعوبة ضبطها. ويندرج ضمنها:

- الاستدلالات التي تخصص أداة الفعل (مثلا: القول بأن جريمة القتل تمت بسلاح أبيض؛ يؤدي إلى التفكير بأن الأمر يتعلق بطعنة سكين أو شفرة ما).
- الاستدلالات التي توجه إلى انتظار نتيجة حدث (مثلا: إذا ألقينا مزهرية من الفخار الصيني على حائط، فإنها ستُكسر).
- الاستدلالات المرتبطة بالاستلزامات المنطقية والتداولية.

خاتمة:

من خلال ماسبق، يمكن القول بأن المنهج الاستدلالي التداولي، كما تم تطويره وتجويده في كندا وبعض الدول الغربية، يستوفي إلى حد كبير شروط معالجة النصوص والخطابات على اختلاف أنواعها (بما فيها النصوص الأدبية التخيلية) لأنه يتجاوز الرؤية الترميزية الخاصة للغة، ويستعمل العمليات الاستدلالية لتوليد الاستلزامات الخطابية وتحصيل الدلالات الضمنية انطلاقا من مؤشرات نصية (ترتبط بالنص).

الهوامش:

1- التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، آنروبولوجا كموشار، ترجمة سيفالدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، يوليو 2003، ص 29

- 2- مارتين براكوب، نقلا عن سعيد جبار، التخيل وبناء الأنساق الدلالية نحو مقاربة تداولية، سلسلة السرد العربي (5)، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص26.
- 3- التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، نفسه، ص22.
- 4- التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، نفسه، ص25.
- 5- فنون النص وعلومه، فرانسوا راستيه، ترجمة: إدريس الخطاب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص171.
- 6- Inférences et implicite ; Nicolas Campion ; <http://www.uvp5.univparis5.fr/TFL/AC/AffFicheT.asp?CleFiche=5100&Org=QU> TH
- 7- Analyse conceptuelle de la compréhension inférentielle en petite enfance à partir d'une recension des modèles théoriques; Pascal Lefebvre, Justine Bruneau et Chantal Desmarais ; revue des sciences de l'éducation; vol.38; n°3 ; 2012; p. 534 .
- 8- Ibid ; p.534
- 9- <http://www.almaany.com/ar/dict/arar/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D9%84%D8%A7%D9%84>
- 10- La production d'inférences lors de la compréhension de textes chez des adultes: une analyse de la littérature ; Daniel MARTINS et Brigitte LE BOUÉDEC ; In: L'année psychologique. 1998 vol. 98, n°3. p.512.
- 11- Ibid ; p.512
- 12- Inférence lexicale et sens figuré: Une entrée didactique ; RUPH CATHERINE ; Mémoire de master ; UFR de sciences du langage ; université Stendhal Grenoble ; Année universitaire 2010-2011 ; p. 41 .
- 13- Analyse conceptuelle de la compréhension inférentielle en petite enfance à partir d'une recension des modèles théoriques; Ibid; p. 534.
- 14- Ibid ; p. 534.
- 15- Ibid ; p. 534.
- 16- La production d'inférences lors de la compréhension de textes chez des adultes: une analyse de la littérature ; Ibid; p.512.
- 17- Analyse conceptuelle de la compréhension inférentielle en petite enfance à partir d'une recension des modèles théoriques; Ibid; p. 534.
- 18- La production d'inférences lors de la compréhension de textes chez des adultes: une analyse de la littérature ; Ibid; p.521.
- 19- يتعلق الأمر بسائر الباحثين ما عدا ماكونور اتكليف، ونذكر من بينهم: برانسفورد، باركلايو فرانك (1972)، بيريك و كينتس (1985)، أبوت، بلاكوسميث، (1985)، مورو و براوروك رينسبان (1987)، وتايلوروت فيرسكاى (1992)، دينيس و فيثا (1993)، سينك روك رايسروت راباسو (1994)، لوبوديك (1995)...
- 20- Garnham et Oakhill (1985), Garnham, Oakhill et Cruttenden (1992) , Garrod, Freudenthal et Boyle (1994) ; La production d'inférences lors de la compréhension de textes chez des adultes : une analyse de la littérature ; Ibid ; p.519.

قائمة المصادر والمراجع:

• المراجع:

- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، يوليو 2003.
- جبار سعيد، التخيل وبناء الأنساق الدلالية نحو مقاربة تداولية، سلسلة السرد العربي (5)، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
- راستيه فرانسوا، فنون النص وعلومه، تر. إدريس الخطاب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010.

•المقالات:

- Daniel Martins et Brigitte LE BOUÉDEC ; La production d'inférences lors de la compréhension de textes chez des adultes : une analyse de la littérature ; In: L'année psychologique; vol. 98, n°3; 1998 .
- Pascal Lefebvre, Justine Bruneau et Chantal Desmarais ; Analyse conceptuelle de la compréhension inférentielle en petite enfance à partir d'une recension des modèles théoriques ; revue des sciences de l'éducation ; volume 38; n°3 ; 2012 .

•الأطاريح الجامعية:

- RUPH CATHERINE ; Inférence lexicale et sens figuré: Une entrée didactique ; Mémoire de master ; UFR de sciences du langage ; université Stendhal Grenoble ; Année universitaire 2010-2011.

•مواقع الانترنت:

- Nicolas Campion ; Inférences et implicite :
<http://www.uvp5.univparis5.fr/TFL/AC/AffFicheT.asp?CleFiche=5100&Org=QU TH>
- <http://www.almaany.com/ar/dict/arar/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D9%84%D8%A7%D9%8>